

University of Kerala

First Degree Programme in Arabic

BA ARABIC
2010 Admission onwards

Fifth Semester

AR15425 – Core Course X

Reading Medieval Arabic Prose & Poetry

Prescribed Text Portions

Page No.	Portions
٢	باب الناسك والضيف – ابن المقفع
٢	بين قاض وقور وذباب جور – الجاحظ
٤	النبوة المحمدية وآياتها – ابن تيمية
٦	آراء في التعليم – ابن خلدون
٨	السندباد البحري: الرحلة السادسة – ألف ليلة وليلة
١٢	قصيدة بشار بن برد في مدح يزيد بن عمر
١٢	قصيدة أبي العلاء المعري في رثاء فقيه شافعي
١٣	قصيدة ابن سناء الملك في تهنئة صلاح الدين الأيوبي
١٤	قصيدة ابن خفاجة في وصف جبل

الوحدة الأولى

أ. باب الناسك والضيف من كليلة ودمنة

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: قد سمعت هذا المثل. فاضرب لي مثل الذي يدع صنعه الذي يليق به ويشاكله، ويطلب غيره فلا يدركه: فيبقى حيران متردداً.

قال الفيلسوف: زعموا أنه كان بأرض الكرخ ناسك عابد مجتهد. فنزل به ضيف ذات يوم، فدعا الناسك لضيفه بتمر: ليطرفه به. فأكلا منه جميعاً. ثم قال الضيف: ما أحلى هذا التمر وأطيبه! فليس هو في بلادي التي أسكنها، وليته كان فيها! ثم قال: أرى أن تساعدني على أن أخذ منه ما أغرسه في أرضنا: فإني لست عارفاً بثمار أرضكم، هذه ولا بمواضعها. فقال له الناسك: ليس لك في ذلك راحة: فإن ذلك يتقل عليك. ولعل ذلك لا يوافق أرضكم، مع أن بلادكم كثيرة الأثمار فما حاجتها مع كثرة ثمارها إلى التمر مع وخامته وقلة موافقته للجسد؟ ثم قال له الناسك: إنه لا يعد حكيماً من طلب ما لا يجد. وإنك سعيد الجد إذا فنعت بالذي تجد، وزهدت فيها لا تجد. وكان هذا الناسك يتكلم بالعبرانية. فاستحسن الضيف كلامه وأعجبه، فتكلف أن يتعلمه؛ وعالج في ذلك نفسه أياماً. فقال الناسك لضيفه: ما أخلقك أن تقع مما تركت من كلامك، وتكلفت من كلام العبرانية، في مثل ما وقع فيه الغراب! قال الضيف: وكيف كان ذلك؟

قال الناسك: زعموا أن غراباً رأى حجلة تدرج وتمشي، فأعجبته مشيتها، وطمع أن يتعلمها. فراض على ذلك نفسه، فلم يقدر على إحكامها، وأيس منها، وأراد أن يعود إلى مشيتها التي كان عليها: فإذا هو قد اختلط وتخلع في مشيته، وصار أقبح الطير مشياً.

وإنما ضربت لك هذا المثل لما رأيت من أنك تركت لسانك الذي طبعت عليه، وأقبلت على لسان العبرانية، وهو لا يشاكلك، وأخاف ألا تدركه، وتنسى لسانك، وترجع إلى أهلك وأنت شرهم لساناً: فإنه قد قيل: إنه يعد جاهلاً من تكلف من الأمور ما لا يشاكله، وليس من عمله ولم يؤدبه عليه أبأوه وأجداده من قبل.

ب. بين قاض وقور وذباب جسور - الجاحظ

كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار، لم ير الناس حاكماً قط ولا زميناً ولا ركيناً*، ولا قرأ حليماً، ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك، كان يصلى الغداة في منزله، وهو قريب الدار من مسجده، فيأتي مجلسه فيجتبي* ولا يتكئ، فلا يزال منتصباً ولا يتحرك له عضو، ولا يلتفت، ولا يحل حبوته، ولا يحول رجلاً عن رجل، ولا يعتمد على أحد شقيه، حتى كأنه بناء مبنى، أو صخرة منصوبة، فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة الظهر ثم يعود إلى مجلسه، فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى العصر، ثم يرجع إلى مجلسه، فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى المغرب، ثم ربما عاد إلى محله، بل كثيراً ما يكون ذلك إذا بقى عليه من قراءه اليهود والشروط والوثائق، ثم يصلى العشاء الأخيرة وينصرف، فالحق يقال: لم يقم في طول تلك المدة والولايه مرة واحدة إلى الوضوء، ولا يحتاج إليه، ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب.

كذلك كان شأنه في طوال الأيام وفي قصارها، وفي صيفها وفي شتائها، وكان مع ذلك لا يحرك يده، ولا يشير برأسه، وليس إلا أن يتكلم ثم يؤجز، ويبلغ الكلام اليسير المعاني الكبيرة.

فبينما هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه، وفي السّماطين بين يديه، إذ سقط على أنفه ذباب فاطال المكث، ثم تحول إلى موقّ * عينيه، فرام * الصبر في سقوطه على الموقّ، وعلى عضه ونفاذ خرطومه كما رام من الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته، أو يغضّن وجهه أو يذب بإصبعه، فلما طال ذلك عليه من الذباب وشغله وأوجعه أحرقه، وقصد إلى مكان لا يحتل التغافل، أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض، فدعاه ذلك إلى أن والى بين الإطباق والفتح، فتتحرك ريشما سكن جفنه، ثم عاد إلى موقّته بأشد من مرته الأولى فغمس خرطومه في مكان كان قد أوهاه قبل ذلك، فكان احتمال له أضعف، وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى، فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة وفي فتح العين، وفي تتابع الفتح الإطباق، فتتحى عنه بقدر ماسكنت حركته ثم عاد إلى موضعه. فما زال يلح عليه إلى أن فرغ صبره وبلغ مجهوده، فلم يجد بدا في أن يذب عن عينيه بيده، ففعل، وعيون القوم إليه ترمقه، وكأنهم لا يرونه، فتتحى عنه بقدر ما ردّ يده وسكنت حركته ثم عاد إلى موضعه، ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك، وعلم أن فعله كله يعين من حضره من أمنائه وجلسائه، فلما نظروا إليه قال: "أشهد أن الذباب ألح من الخنفساء وأزهى من الغراب وأستغفر الله فما أكثر من اعجبته نفسه فأراد الله - عز وجل أن يعرّفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً وقد علمت أنّي عند الناس من أذمت الناس، فقد غلبني وفضحني أضعف خلقه ثم تلا: "وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب".

وكان بين اللسان، قليل فضول الكلام، وكان مهيباً في أصحابه، وكان أحد من لم يطعن عليه في نفسه، ولا في تعريض أصحابه للمنالة.

الوحدة الثانية

أ. النبوة المحمدية وآياتها - ابن تيمية

وسيرة الرسول وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته ، وأمه من آياته ، وعلم أمته ودينهم من آياته ، وكرامات صالح أمته من آياته . وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد وإلى أن بعث ، ومن حيث بعث إلى أن مات ، وتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله ، فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسبا ، من صميم سلالة إبراهيم الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب ، فلم يأت نبي بعد إبراهيم إلا من ذريته ، ونجعل له ابنين : إسماعيل ، وإسحاق ، وذكر في التوراة هذا وهذا ، وبشر في التوراة بما يكون من ولد إسماعيل ، ولم يكن في ولد إسماعيل من ظهر فيما بشرت به النبوات غيره ، ودعا إبراهيم لذرية إسماعيل بأن يبعث فيهم رسولا منهم ، ثم من قريش صفوة بني إبراهيم ، ثم من بني هاشم صفوة قريش ، ومن مكة أم القرى وبلد البيت الذي بناه إبراهيم ، ودعا الناس إلى حجه ، ولم يزل محجوجا من عهد إبراهيم ، مذكورا في كتب الأنبياء بأحسن وصف.

وكان من أكمل الناس تربية ونشأة ، لم يزل معروفا بالصدق والبر والعدل ومكارم الأخلاق، وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم ، مشهودا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة، وممن آمن به ، وممن كفر بعد النبوة لا يعرف له شيء يعاب به ؛ لا في أقواله، ولا في أفعاله، ولا في أخلاقه ، ولا جرب عليه كذبة قط ، ولا ظلم ولا فاحشة.

وكان خلقه وصورته من أكمل الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله ، وكان أميا من قوم أميين لا يعرف ، لا هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب : التوراة والإنجيل ، ولم يقرأ شيئا عن علوم الناس ، ولا جالس أهلها ، ولم يدع نبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة ، فأتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها ، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرين بنظيره ، وأخبرنا بأمر لم يكن في بلده وقومه من يعرف مثله . ولم يعرف قبله ولا بعده لا في مصر من الأمصار ولا في عصر من الأعصار من أتى بمثل ما أتى به ولا من ظهر كظهوره ولا من أتى من العجائب والآيات بمثل ما أتى به ولا من دعا إلى شريعة أكمل من شريعته ولا من ظهر دينه على الأديان كلها بالعلم والحجة وباليد والقوة كظهوره. ثم اتبعه أتباع الأنبياء وهم ضعفاء الناس ، وكذبه أهل الرياسة وعادوه ، وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق ، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم ، والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ، ولا لرغبة فإنه لم يكن عنده مال يعطيهم ، ولا جهات يوليهم إياها ، ولا كان له سيف ، بل كان السيف ، والمال ، والجاه مع أعدائه . وقد أدوا أتباعه بأنواع الأذى ، وهم صابرون محتسبون لا يرتدون عن دينهم لما خالط قلوبهم من حلاوة الإيمان والمعرفة .

وكانت مكة يحجها العرب من عهد إبراهيم فتجتمع في الموسم قبائل العرب فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة ، ويدعوهم إلى الله صابرا على ما يلقاه من تكذيب المكذب ، وجفاء الجافي ، وإعراض المعرض ، إلى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود قد سمعوا أخباره منهم ، وعرفوه ، فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر الذي تخبرهم به اليهود ، وكانوا قد سمعوا من أخباره ما عرفوا به مكانته ، فإن أمره كان قد انتشر ، وظهر في بضع عشرة سنة فأمنوا به ، وبأبعوه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم ، وعلى الجهاد معه ، فهاجر هو ومن اتبعه إلى المدينة ، وبها المهاجرون والأنصار ، ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ، ولا برهبة إلا قليلا من الأنصار أسلموا في الظاهر ، ثم حسن إسلام بعضهم ، ثم أذن له في الجهاد ، ثم أمر به ، ولم يزل قائما بأمر الله على أكمل طريقة ، وأتمها من الصدق والعدل والوفاء ، لا يحفظ له كذبة واحدة ولا ظلم لأحد ولا غدر بأحد ، بل كان أصدق الناس وأعدلهم ، وأوفاهم بالعهد ، مع اختلاف الأحوال عليه من حرب وسلم وأمن وخوف وغنى وفقر وقلة وكثرة ، وظهوره على العدو تارة وظهور العدو عليه تارة ، وهو على ذلك كله ملازم لأكمل الطرق وأتمها ، حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان ، ومن أخبار الكهان ، وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق ، وسفك الدماء المحرمة ، وقطيعة الأرحام ، لا يعرفون آخرة ولا معادا ، فصاروا أعلم أهل الأرض وأدينهم وأعدلهم وأفضلهم ، حتى إن النصراني لما رأوهم - حين قدموا الشام - قالوا : ما كان الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء.

وهذه آثار علمهم وعملهم في الأرض ، وآثار غيرهم يعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين ، وهو صلى الله عليه وسلم مع ظهور أمره ، وطاعة الخلق له ، وتقديمهم له على الأنفس والأموال ، مات صلى الله عليه وسلم ولم يخلف درهما ولا ديناراً ، ولا شاة ولا بعيراً له ، إلا بغلته وسلاحه ، ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير ابتاعها لأهله ، وكان بيده عقار ينفق منه على أهله ، والباقي يصرفه في مصالح المسلمين ، فحكم بأنه لا يورث ولا يأخذ ورثته شيئاً من ذلك وهو في كل وقت يظهر على يديه من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه .

ويخبرهم بخبر ما كان وما يكون ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويشرع الشريعة شيئاً بعد شيء حتى أكمل الله دينه الذي بعث به ، وجاءت شريعته أكمل شريعة ، لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف إلا أمر به ، ولا منكر تعرف العقول أنه منكر إلا نهى عنه ، لم يأمر بشيء فقيل لبيته لم يأمر به ، ولا نهى عن شيء فقيل لبيته لم ينه عنه ، وأحل الطيبات لم يحرم شيئاً منها كما حرم في شرع غيره ، وحرم الخبائث لم يحل منها شيئاً كما استحله غيره .

وجمع محاسن ما عليه الأمم ، فلا يذكر في التوراة والإنجيل والزيور نوع من الخبر عن الله وعن ملائكته وعن اليوم الآخر إلا وقد جاء به على أكمل وجه ، وأخبر بأشياء ليست في الكتب . فليس في الكتب إيجاب لعدل ، وقضاء بفضل ، وندب إلى الفضائل ، وترغيب في الحسنات إلا وقد جاء به وبما هو أحسن منه .

وإذا نظر اللبيب في العبادات التي شرعها ، وعبادات غيره من الأمم ظهر فضلها ورجحانها ، وكذلك في الحدود والأحكام ، وسائر الشرائع وأتمه أكمل الأمم في كل فضيلة ، فإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم ، وإن قيس دينهم وعباداتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر أنهم أدين من غيرهم ، وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم في سبيل الله وصبرهم على المكاره في ذات الله ، ظهر أنهم أعظم جهادا وأشجع قلوباً ، وإذا قيس سخاؤهم وبذلهم وسماحة أنفسهم بغيرهم ، تبين أنهم أسخى وأكرم من غيرهم ، وهذه الفضائل به نالوها ، ومنه تعلموها ، وهو الذي أمرهم بها ، لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو بتكميله كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم بعضها من التوراة ، وبعضها من الزيور ، وبعضها من النبوات ، وبعضها من المسيح ، وبعضها ممن بعده كالحواريين ، وقد استعانوا بكلام الفلاسفة ، وغيرهم حتى أدخلوا - لما غيروا دين المسيح - في دين المسيح أموراً من أمور الكفار ، المناقضة لدين المسيح .

وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يكونوا قبله يقرءون كتاباً ، بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود ، والتوراة والإنجيل والزيور إلا من جهته ، فهو الذي أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ، ويقرءوا بجميع الكتب المنزلة من عند الله ، ونهاهم أن يفرقوا بين أحد من الرسل ، فقال تعالى في الكتاب الذي جاء به : (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكم الله وهو السميع العليم) . وقال تعالى : (أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) .

ب. آراء في التعليم - ابن خلدون

١: كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل

اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم و الوقوف على غياته كثرة التأليف و اختلاف الاصطلاحات في التعاليم و تعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم و التلميذ باستحضار ذلك. و حينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها و مراعاة طرقها. و لا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها فيقع القصور و لا بد دون رتبة التحصيل.

و يمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بالكتب المدونة مثلا و ما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب **ابن يونس** و **اللخمي** و **ابن بشير** و التبيهاة و المقدمات و البيان و التحصيل على العتبية و كذلك كتاب **ابن الحاجب** و ما كتب عليه. ثم إنه يحتاج إلى تمييز الطريقة القيروانية من القرطبية و البغدادية و المصرية و طرق المتأخرين عنهم و الإحاطة بذلك كله و حينئذ يسلم له منصب الفتيا و هي كلها متكررة والمعنى واحد. و المتعلم مطالب باستحضار جميعها و تمييز ما بينها و العمر ينقضي في واحد منها.

ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط لكان الأمر دون ذلك بكثير و كان التعليم سهلا و مأخذه قريبا و لكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالتبيعة التي لا يمكن نقلها و لا تحويلها.

و يمثل أيضا علم العربية من كتاب **سيبويه** و جميع ما كتب عليه و طرق البصريين و الكوفيين و البغداديين و الأندلسيين من بعدهم و طرق المتقدمين و المتأخرين مثل **ابن الحاجب** و **ابن مالك** و جميع ما كتب في ذلك كيف يطالب به المتعلم و ينقضي عمره دونه و لا يطمع أحد في الغاية منه إلا في القليل النادر مثل ما وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف **بابن هاشم** ظهر من كلامه فيها أنه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل إلا **لسيبويه** و **ابن جنى** و أهل طبقتهم لعظيم ملكته و ما أحاط به من أصول ذلك الفن و تفاريعه و حسن تصرفه فيه.

ودل ذلك على أن الفضل ليس منحصرا في المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب و الطرق و التأليف و لكن فضل الله يؤتية من يشاء. و هذا نادر من نوادر الوجود و إلا فالظاهر أن المتعلم و لو قطع عمره في هذا كله فلا يفي له بتحصيل علم العربية مثلا الذي هو آلة من الآلات و وسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة؟ و لكن الله يهدي من يشاء.

٢: كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم

ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق و الأنحاء في العلوم يولعون بها و يدنون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله و أدلتها باختصار في الألفاظ و حشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن. و صار ذلك مخلا بالبلاغة و عسرا على الفهم. و ربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير و البيان فاختصروها تقريبا للحفظ كما فعله **ابن الحاجب في الفقه** و **ابن مالك في العربية** و **الخونجي في المنطق** و أمثالهم. و هو فساد في التعليم و فيه اخلال بالتحصيل و ذلك لأن فيه تخليطا على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه و هو لم يستعد لقبولها بعد و هو من سوء التعليم كما سيأتي.

ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بنتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتراحم المعاني عليها و صعوبة استخراج المسائل من بينها. لأن ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة فينقطع في فهمها حظ صالح عن الوقت. ثم

بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذا تم على سداه و لم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة لكثرة ما يقع في تلك من التكرار و الإحالة المفيدتين لحصول الملكة التامة. و إذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة فقصودوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين فأركبهم صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة و تمكنها. و من يهد الله فلا مضل له و من يضل فلا هادي له. و الله سبحانه و تعالى أعلم.

٣: وجه الصواب في تعليم العلوم و طريق إفادته

اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا و قليلا قليلا يلقي عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب. و يقرب له في شرحها على سبيل الإجمال و يراعى في ذلك قوة عقله و استعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن و عند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية و ضعيفة. و غايتها أنها هيأته لفهم الفن و تحصيل مسأله.

ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها و يستوفى الشرح و البيان و يخرج عن الإجمال و يذكر له ما هنالك من الخلاف و وجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته. ثم يرجع به و قد شد فلا يترك عويصا و لا مهما و لا مغلقا إلا وضحه و فتح له مقفله فيخلص من الفن و قد استولى على ملكته هذا وجه التعليم المفيد و هو كما رأيت إنما يحصل في ثلاثا تكرارات. و قد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له و يتيسر عليه.

و قد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم و إفاداته و يحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم و يطالبونه بإحضار ذهنه في حلها و يحسبون ذلك مرانا على التعليم و صوابا فيه و يكلفونه رعي ذلك و تحصيله و يخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها و قبل أن يستعد لفهمها فإن قبول العلم و الاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجا و يكون المتعلم أول الأمر عاجزا عن الفهم بالجملة إلا في الأقل و على سبيل التقريب و الإجمال و الأمثال الحسنة. ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن و تكرارها عليه و الانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذي فوقه، حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل و يحيط هو بمسائل الفن و إذا ألقيت عليه الغايات في البدئات و هو حينئذ عاجز عن الفهم و الوعي و بعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها و حسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه و انحرف عن قبوله و تمادى في هجرانه. و إنما إلى ذلك من سوء التعليم.

ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكب على التعليم منه بحسب طاقته و على نسبة قبوله للتعليم مبتدئا كان أو منتهيا و لا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره و يحصل أغراضه و يستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره. لأن المتعلم إذا حصل ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي و حصل له نشاط في طلب المزيد و النهوض إلى ما فوق حتى يستولي على غايات العلم و إذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم و أدركه الكلال و انطمس فكره و ينس من التحصيل و هجر العلم و التعليم. و الله يهدي من يشاء.

وكذلك ينبغي لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس و تقطيع ما بينها لأنه ذريعة إلى النسيان و انقطاع مسائل الفن بعضها من بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها. و إذا كانت أوائل العلم و أواخره حاضرة عند الفكرة مجانبية للنسيان كانت الملكة أيسر حصولا و أحكم ارتباطا و أقرب صنعة لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل و تكراره و إذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه. و الله علمكم ما لم تكونوا تعلمون. و من المذاهب الجميلة و الطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معا فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال و انصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر فيستغلقان معا و يستصعبان و يعود منهما بالخيبة. و إذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصر عليه فربما كان ذلك أجدر لتحصيله و الله سبحانه و تعالى الموفق للصواب.

الوحدة الثالثة

السند باد البحري

(الحكاية السادسة)

ابتدأ السندباد البحري يحدث أصحابه بحكاية السفرة السادسة فقال لهم اعلموا يا إخواني وأحبائي وأصحابي، أني لما جئت من تلك السفرة الخامسة ونسيت ما كنت قاسيته بسبب اللهو والطرب والبسط والانشراح وأنا في غاية الفرح والسرور، ولم أزل على هذه الحالة إلى أن جلست يوماً من الأيام في حظ و سرور وانشراح زائد.

فبينما أنا جالس إذا بجماعة من التجار وردوا علي وعليهم آثار السفر، فعند ذلك تذكرت أيام قدومي من السفر وفرحي بدخولي بقاء أهلي وأصحابي وأحبائي وفرحي بدخول بلادي، فاشتاقت نفسي إلى السفر والتجارة، فعزمت على السفر واشتريت لي بضائع نفيسة فاخرة تصلح للبحر وحملت حمولي وسافرت من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة، فرأيت سفينة عظيمة فيها تجار وأكابر ومعهم بضائع نفيسة فنزلت حمولي معهم في هذه السفينة وسرنا بالسلامة من مدينة البصرة.

ولم نزل مسافرين من مكان إلى مكان ومن مدينة إلى مدينة، ونحن نبيع ونشتري ونتفرج على بلاد الناس وقد طاب لنا السعد والسفر، واغتنمنا المعاش إلى أن كنا سائرين يوماً من الأيام وإذا بريس المركب صرخ وصاح ورمى عامته ولطم على وجهه ومنتف لحيته ووقع في بطن المركب من شدة الغم والقهر.

فاجتمع عليه جميع التجار والركاب وقالوا له: يا ريس، ما الخبر، فقال لهم الريس: اعلموا يا جماعة أننا قد تهنا بمركبنا وخرجنا من البحر الذي كنا فيه ودخلنا بحر لم نعرف طريقه، وإذا لم يقبض الله لنا شيئاً يخلصنا من هذا البحر هلكننا جميعاً، فادعوا الله تعالى أن ينجينا من هذا الأمر. ثم إن الريس قام وصعد على الصاري وأراد أن يحل القلوع، فقوي الريح على المركب فردها على مؤخره فانكسرت دفته قرب جبل عال، فنزل الريس من الصاري وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لا يقدر أحد أن يمنع المقدور، واعلموا أننا قد وقعنا في مهلكة عظيمة ولم يبق لنا منها خلاص ولا نجاة. فبكى جميع الركاب على أنفسهم وودع بعضهم بعضاً لفراغ أعمارهم وانقطع رجاؤهم ومال المركب على ذلك الجبل، فانكسرت وتفرقت ألواحها فغرق جميع ما فيه ووقع التجار في البحر، فمنهم من غرق ومنهم من تمسك بذلك الجبل وطلع عليه وكنت أنا من جملة من طلع على ذلك الجبل، وإذا فيه جزيرة كبيرة عندها كثير من المراكب المكسرة وفيها أرزاق كثيرة على شاطئ البحر من الذي يطرحه البحر من المراكب التي كسرت وغرق ركابها وفيها شيء كثير يحير العقل والفكر من المتاع والأموال التي يلقيها البحر على جوانبها.

فعند ذلك طلعت على تلك الجزيرة ومشيت فيها فرأيت في وسطها عين ماء عذب جار خارج من تحت أول ذلك الجبل وداخل في آخره من الجانب الثاني فعند ذلك طلع جميع الركاب على ذلك الجبل إلى الجزيرة وانتشر فيها وقد ذهلت عقولهم

من ذلك وصاروا مثل المجانين من كثرة ما راوا في الجزيرة من المتعة والأموال التي على ساحل البحر، وقد رأيت في وسط تلك العين شيئا كثيرا من أصناف الجواهر والمعادن واليواقيت والآلي الكبار الملوكية وهي مثل الحصى في مجاري المساء في تلك الغيطان، وجميع ارض تلك العين تبرق من كثرة ما فيها من المعادن وغيرها ورأينا شيئا كثيرا في تلك الجزيرة من اعلى العود الصيني والعود القهارى وفي تلك الجزيرة عين نابغة من صنف العنبر الخام وهو يسيل مثل الشمع على جانب تلك العين من شدة حر الشمس ويمتد على ساحل البحر، فتطلع الهوامش من البحر تبلعه وتنزل به في البحر تبلعه وتنزل به في البحر فيحوى في بطونها فتقذفه من افواهها في البحر في يجمد على وجه المساء فعند ذلك يتغير لونه واحواله فتقذفه الامواج الى جانب البحر فيأخذها السياحون والتجار الذين يعرفونه فبيعونه، وأما العنبر الخام الخالص من البلع فانه يسيل على جانب تلك العين ويتجمد بارضه واذا طلعت عليه الشمس يسيح وتبقى منه رائحة ذلك الوادي كله مثل المسك واذا زالت عنه الشمس يجمد، وذلك المكان الذي فيه هذا العنبر الخام لا يقدر احد على دخوله ولا يستطيع سلوكه فان الجبل محيط بتلك الجزيرة ولا يقدر احد على صعود ذلك الجبل، ولم تزل دائرين في تلك الجزيرة تنفرج على ما خلق الله تعالى فيها من الأرزاق ونحن متحيرون في أمرنا وفيها نراه وعندنا خوف شديد وقد جمعنا على جانب الجزيرة شيئا قليلا من الزاد فصرنا توفره وتأكل منه في كل يوم أو يومين اكلة واحدة، ونحن خائفون ان يفرغ الزاد منا فموت كمدا من شدة الجوع والخوف.

وكل من مات منا غسله ونكفنه في ثياب أو قماش من الذي يطرحه البحر على جانب الجزيرة حتى مات منا خلق كثير ولم يبق منا إلا جماعة قليلة فضعفنا بوجع البطن من البحر واقمنا مدة قليلة فمات جميع أصحابي ورفقائي واذا بعد واحد. وكل من مات منهم ندفنه، وبقيت في تلك الجزيرة وحدى وبقي معي زاد قليل بعد ان كان كثيرا، فكيت على نفسي وقلت يا ليتني مت قبل رفقائي وكانوا غسلوني ودفنتوني فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، ثم اني اقممت مدة يسيره ثم قمت حفرت لنفسي حفرة عميقة في جانب تلك الجزيرة، وقلت في نفسي اذا ضعفت وعلمت ان الموت قد اتاني ارقد في هذا القبر فاموت فيه وتبقى الريح تسعي الرمل على فيغطيني واصير مدفونا فيه، وصرت الوم نفسي على قلة عقلي وخروحي من بلادي ومدينتي وسفري الى البلاد بعد الذي قاسيته اولا وثانيا وثالثا ورابعا وخامسا ولا سفرة من الاسفار الا واقاسي فيها اهوالا وشدائد اشق واصعب من الاهوال التي قبلها وما اصدق بالنجاة والسلامة واتوب عن السفر في البحر وعن عودي اليه ولست محتاجا لمال وعندي شئ كثير والذي عندي لا اقدر ان افنيه ولا اضيع نصفه في باقي عمري وعندي ما يكفيني وزيادة، ثم اني تفكرت في نفسي وقلت والله لا بد ان هذا النهر له اول وآخر ولا بد له من مكان يخرج منه الى العمار، والرأي السديد عندي اني اعمل لي فلكا صغيرا على قدر ما اجلس فيه وانزل والقيه في هذا النهر واسير به فان وجدت أي خلاصا اخلص وانجو باذن الله تعالى، وان لم اجد أي مخلصا اموت داخل هذا النهر احسن من هذا المكان، وصرت اتحسر على نفسي، ثم اني قمت وسعيت فجمعت اخشابا من تلك الجزيرة من خشب العود الصيني والقهارى وشددتها على جانب البحر بجبال من حبال المراكب التي كسرت وجئت بالواح متساوية من الواح المراكب ووضعتها في ذلك الخشب وجعلت ذلك الفلك على عرض ذلك النهر او اقل من عرضه وشددته شدا طيبا مكينا وقد اخذت معي من تلك المعادن والجواهر والاموال واللؤلؤ الكبير الذي هو مثل الحصى وغير ذلك من الذي في تلك الجزيرة وشيئا من العنبر الخام الخالص الطيب

ووضعت في ذلك الفلك ووضعت فيه جميع ما جمعته من الجزيرة واخذت معي جميع ما كان باقيا من الزاد، ثم اني القيت ذلك الفلك في هذا النهر وجعلت له خشبتين على جنبيه مثل المجاذيف وسرت بذلك الفلك في النهر وانا متفكر فيما يصير اليه امري ، ولم ازل سائرا الى المكان الذي يدخل فيه النهر تحت ذلك الجبل وادخلت الفلك في ذلك المكان وقد صرت في ظلمة شديدة تحت الجبل ولم يزل الفلك داخلا في معي الماء الى مضيق تحت الجبل وصارت جوانب ذلك الفلك تحتك في جوانب النهر وراسي تحتك في سقف النهر، ولم اقدر على اني اعود منه وقد لمت نفسي على ما فعلته بروحي، وقلت ان ضاق هذا المكان على الفلك قل ان يخرج منه ولا يمكن عوده فاهلك في هذا المكان كمدا محالة بلا محالة وقد انطرحت على وجهي في الفلك من ضيق النهر ولم ازل سائرا ولا اعلم ليلا من نهار بسبب الظلمة التي انا فيها تحت ذلك الجبل مع الفزع والخوف على نفسي من الهلاك ، ولم ازل على هذه الحالة سائرا في ذلك النهر وهو يتسع تارة ويضيق اخرى ولكن شدة الظلمة قد اتعبتني تعباً شديداً فاخذتني سنة من النوم من شدة قهري، فنمت على وجهي في الفلك ولم يزل سائرا بي وانا نائم لا ادري بكثير ولا قليل حتى استيقظت فوجدت نفسي في النور، ففتحت عيني فرايت مكانا واسعا وذلك الفلك مربوط على جزيرة وحولي جماعة من الهنود والحبشة فلما راوني قمت نهضوا الى وكلموني بلسانهم فلم اعرف ما يقولون وبقيت اظن عنه حلم وان هذا في المنام من شدة ما كنت فيه من الضيق والقهر فلم ا كلموني ولم اعرف حديثهم ولم ارد عليهم جوابا تقدم الى رجل منهم وقال لي بلسان عربي، السلام عليكم يا اخانا . من انت ومن اين جئت وما سبب مجيئك الي هذا المكان ، ومن اين دخلت في هذا الماء ، وأي بلاد خلف هذا الجبل لاننا لا نعلم ان احدا سلك من هناك الينا. فقلت له : من انتم . واي ارض هذه . وقال لي : يا اخي ! نحن اصحاب الزرع والغيطان وجئنا لنسقي غيطاننا وزرعنا فوجدناك نائما في الفلك فامسكناه وربطناه عندنا حتى تقوم على المهلك ، فاخبرنا ما سبب وصولك الى هذا المكان، فقلت له بالله عليك يا سيدي ، ايتني بشيء من الطعام ، فاني جائع وبعد ذلك اسالني اما تريد، فاسرع واتاني بالطعام فاكلت حتى شبعت واسترحت وسكن روعي وازداد شعبي وردت لي روعي ، فحمدت الله تعالى على كل حال ففرحت بخروحي من ذلك النهر ووصولي اليهم واخبرتهم بجميع ما جرى لي من اوله الي آخره وما لقبته في ذلك النهر وضيقة.

قال السند باد ثم انهم تكلموا ما بعضهم وقالوا لا بد اننا تاخذة معنا ونعرضه على ملكنا ليخبره لما جرى له ، قال فاخذوني معهم وحملوا مع الفلك بجميع ما فيه من المال والنوال والجواهر والمعادن والمصاغ وقد ادخلوني على ملكهم واخبروه بما جرى لي ، فسلم على ورحب بي وسألني عن حالي وما اتفق لي من الامور فاخبرته بجميع ما كان من امري وما لا قبته من اوله الى آخره. فتعجب الملك من هذه الحكاية غاية العجب وهنأني بالسلامة. فعند ذلك قمت واطلعت من ذلك الفلك شيئاً كثيراً من المعادن والجواهر والعود والعنبر الخام وأهديته إلى الملك. فقبله مني وأكرمني إكراماً زائداً، وأنزلني في مكان عنده، وقد صاحبت أختيارهم وأكابرهم وأعزوني معزة عظيمة وصرت لا أفارق دار الملك وصار الواردون إلى تلك الجزيرة يسألونني عن أمور بلادي فأخبرهم بها. وكذلك أسألهم عن أمور بلادهم فيخبروني بها إلى أن سألتني ملكهم يوماً من الأيام عن أحوال بلادي. وعن أحوال حكم الخليفة في بلاد مدينة بغداد فأخبرته بعدله في أحكامه، فتعجب من أمره وقال لي: والله إن هذا الخليفة له أمور عقلية وأحوال مرضية، وأنت قد حببتي فيه ومرادي أن أجهز له هدية

وأرسلها معك إليه فقلت: سمعاً وطاعة يا مولانا أوصولها إليه وأخبره أنك محب صادق ولم أزل مقيماً عند ذلك الملك وأنا في غاية العز والإكرام وحسن المعيشة، مدة من الزمان، إلى أن كنت جالساً يوماً من الأيام في دار الملك، فسمعت بخبر جماعة من تلك المدينة أنهم جهزوا لهم مركباً يريدون السفر فيه إلى نواحي مدينة البصرة، فقلت في نفسي: ليس لي أوفق من السفر مع هؤلاء الجماعة. فأسرعت من وقتي وساعتي وقبلت يد ذلك الملك وأعلمته بأن مرادي السفر مع الجماعة في المركب الذي جهزوه، لأنني اشتقت إلى أهلي وبلادي فقال لي الملك: الرأي لك وإن شئت الإقامة عندنا فعلى الرأس والعين، وقد حصل لنا أنسك، فقلت: والله يا سيدي لقد غمرتني بجميلك وإحسانك ولكن قد اشتقت إلى أهلي وبلادي وعيالي.

فلما سمع كلامي أحضر التجار الذين جهزوا المركب وأوصاهم علي ووهب لي شيئاً كثيراً من عنده ودفع عني أجرة المركب وأرسل معي هدية عظيمة إلى الخليفة هارون الرشيد بمدينة بغداد.

ثم إنني ودعت الملك ووعدت جميع أصحابي الذين كنت أتردد عليهم ثم نزلت المركب مع التجار وسرنا، وقد طاب لنا الريح والسفر ونحن متوكلون على الله سبحانه وتعالى، ولم نزل مسافرين من بحر إلى بحر ومن جزيرة إلى جزيرة إلى أن وصلنا بالسلامة بإذن الله إلى مدينة البصرة فطلعت من المركب ولم أزل مقيماً بأرض البصرة أياماً وليالي، حتى جهزت نفسي وحملت حمولي وتوجهت إلى مدينة بغداد دار السلام، فدخلت على الخليفة هارون الرشيد وقدمت إليه تلك الهدية وأخبرته بجميع ما جرى لي.

ثم خزنت جميع أموالي وأمتعتي ودخلت حارتي وجاهني أهلي وأصحابي وفرقت الهدايا على جميع أهلي وتصدقت ووهبت، وبعد مدة من الزمان أرسل إلي الخليفة فسألني عن سبب تلك الهدية ومن أين هي فقلت: يا أمير المؤمنين والله لا أعرف المدينة التي هي منها اسماً ولا طريقاً ولكن لما غرق المركب الذي كنت فيه طلعت على جزيرة وصنعت لي فلماً ونزلت فيه في نهر كان في وسط الجزيرة وأخبرته بما جرى لي فيها وكيف كان خلاصي من ذلك النهر إلى تلك المدينة، وبما جرى لي فيها وبسبب إرسال الهدية فتعجب من ذلك غاية العجب، وأمر المؤرخون أن يكتبوا حكايتي ويجعلوها في خزائنه ليعتبر بها كل من رآها ثم إنه أكرمني إكراماً زائداً.

أقمت بمدينة بغداد على ما كنت عليه في الزمن الأول، ونسيت جميع ما جرى لي وما قاسيته من أوله إلى آخره، ولم أزل في لذة عيش ولهو وطرب فهذا ما كان من أمري في السفارة السادسة يا إخواني.

الوحدة الرابعة

أ. من قصيدة لبشار بن برد في مدح يزيد بن عمر بن هبيرة

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى
وأرعن يغشى الشمس لون حديده
تغصّ به الأرض الفضاء إذا غدا
ركبنا له جهرا بكل متقف
فلما تولى الحرّ واعتصر الثرى
وطارت عسافير الشقائق واكتسى
غدت عانة تشكو بأبصارها الصدى
غدونا له والشمس في خدر أمها
بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه
أحلت به أم المنايا بناتها
وكنا إذا دبّ العدو لسخطنا
وكنا مثار النقع - فوق رؤوسنا -
بعثنا لهم موت الفجاءة إننا
فراحوا : فريق في الإسار، ومثله
إذا الملك الجبار صعّر خده

وبالشوك والخطي حمر ثعالبه
وتخلص أبصار الكماة كتائبه
تزاحم أركان الجبال مناكبه
وأبيض تستسقي الدماء مضاربه
لظى الصيف من نجم توقد لاهبه
من الآل - أمثال المجرة - ناضبه
إلى الجأب إلا أنها لا تخاطبه
تطالعنا والطل لم يجز ذائبه
وتدرك من نجى الفرار مثالبه
بأسيافنا، إنا ردى من نحاربه
وراقبنا في ظاهر لا نراقبه
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
بنو الملك خفاق علينا سبائبه
قتيل، ومثل لاذ بالبحر هاربه
مشينا إليه بالسيوف نعاتبه

ب. قصيدة أبي العلاء المعري في رثاء فقيه حنفي

غير مجد في ملتي واعتقادي
وشبيه صوت النعي إذا قيـ
أبكت تلحم الحمامة أم غـ
صاح، هذي قبورنا تملأ الرُحـ
خفف الوطء ما أظنُّ أديم الأ
وقبيحٌ بنا وإن قدم العهـ
سر إن استطعت في الهواء رويداً

نوح باكٍ ولا ترثم شادٍ
س بصوت البشير في كل نادٍ
ت على فرع غصنها الميادٍ ؟
س فأين القبور من عهد عادٍ ؟
رض إلا من هذه الأجسادٍ
د، هوان الآباء والأجدادٍ
لا اختيالاً على رفات العبادٍ

رباً لحدٍ قد صار لحداً مرارا
ودفين على بقايا دفين
فاسأل الفرقدين عمّن أحسّا
كم أقاما على زوال نهار
تعبٌ كلها الحياة فما أعجبُ
إنّ حزناً في ساعة الموت أضعا
ضاحكٍ من تراحم الأضدادِ
في طويل الأزمان والأبادِ
من قبيلٍ وأنسا من بلادِ
وأنارا لمدلج في سوادِ ؟
إلا من راغبٍ في ازديادِ
ف سرورٍ في ساعة الميلادِ

ج. قصيدة لابن ثناء الملك في تهنئة صلاح الدين الأيوبي بنصر حطين

لست أدري بأي فتح تهنا
أنهتّيك إذ تملكث شاما
قد ملكت الجنانَ قطرا فقطرا
إنّ دين الإسلام منّ على الخـ
لك مدح فوق السماوات ينشا
كم تأنى النصر العزيز على الشا
قمتَ في ظلمة الكريهة كالبد
لم تقف قط في المعارك إلا
تجتتي النصر من ظباك كأنّ الـ
قصدت محوك الأعداي فردّ اللـ
حملوا كالجبال عظما ولكن
جمعوا كيدهم وجاؤوك أركا
لم تلاق الجيوش منهم ولكنّـ
كلّ من يجعل الحديد له ثو
خانهم ذلك السلاح فلا الرمـ
وتولت تلك الخيول وكم يثـ
وتصيّدتهم لحلقة صيد
وجرت منهم الدماء بحارا
صنعت فيهم وليمة عرس
يا منيل الإسلام ما قد تمنى ؟ !
أم نهنيك إذ تيوات عدنا ؟
إذ فتحت الشام حصنا فحصنا
سق وأنت الذي على الدين منا
ومحلّ فوق الأستة بينى
م ولما نهضت لم يتأنا
ر سناء والبدر يطلع وهنا
كنت يا يوسف كيوسف حسنا
غضب قد صحفوه فصار غصنا
ه ما أمّلوه عنك وعنّا
جعلتها حملات خيلك عهنا
نا فمن هدّ فارسا هدّ ركنا
ك لاقيتهم جبالا ومدنا
با وتاجا طيلسانا وردنا
ح يغتّى ولا المهند طنا
نى عليها بأنها ليس تنثى
تجمع الليث والغزال الأغنا
فجرت فوقها الجزائر سفنا
رقص المشرفيّ فيها وغتّى

ظل معبودهم لديك أسيرا
صلبوا ربهم فلم يغن عنهم
وحوى الأسر كل ملك يظن الد
ظن ظنا وكنت أصدق في اللـ
كم تمنى اللقاء حتى رآه
رقّ من رحمة له القيد والغل
واللعين الإبرنس أصبح مذبو
أنت ذكيتة فوفيت نذرا
وتهادت عرائس المدن تجلى
لا تخص الشام منك التهاني
قد ملكت البلاد شرقا وغربا
واغتدى الوصف في علاك حسيرا

مستضاما فاجعل له النار سجنا
من يرى بعد صلبه قط أغنى ؟
هر يفنى وملكه ليس يفنى
ه يقينا وكان أكذب ظنا
فتمنى له أنه ما تمنى
عليه فكلمنا أن أنا
ح يمين لم تعدم الدين يمنا
كنت قدمته فجوزيت حسنا
وثمار الآمال فيهنّ تجنى
كل صقع وكل قطر يهنا
وحويت الأفاق سهلا وحزنا
أي لفظ يقال أو أي معنى ؟

د. قال ابن خفاجة في وصف جبل

بَعَيْشِكَ هَلْ تَدْرِي، أهُوجُ الْجَنَائِبِ
فَمَا لَحْتُ فِي أُولَى الْمَشَارِقِ كَوَكْبًا،
وَحِيدًا تَهَادَانِي الْقِيَافِي فَأَجْتَلِي
وَلَا جَارَ إِلَّا مِنْ حُسَامٍ مُصَمِّمٍ،
وَلَا أَنْسَ إِلَّا أَنْ أَضَاحِكُ، سَاعَةً
وَلَيْلٍ، إِذَا مَا قُلْتُ قَدْ بَادَ، فَاِنْفَضِي،
سَحَبْتُ الدِّيَاجِي فِيهِ سَوْدَ ذَوَائِبِ،
فَمَزَقْتُ جَيْبَ اللَّيْلِ عَنِ شَخْصِ أَطْلَسِ
رَأَيْتُ بِهِ قِطْعًا مِنَ الْفَجْرِ أَغْبَشًا،
وَأَرَعَنَ طِمَاحَ الدُّؤَابَةِ بِأَذْخِ
يَسُدُّ مَهَبَّ الرِّيحِ عَنِ كُلِّ وَجْهَةٍ،
وَقُورٍ، عَلَى ظَهْرِ الْقَلَاةِ، كَأَنَّهُ
يَلُوثُ عَلَيْهِ الْعَيْمُ سَوْدَ عَمَائِمٍ،
أَصَخْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَخْرَسُ صَامِتٍ،

تَحْبُ بِرَحْلِي، أَمْ ظُهُورُ النَّجَائِبِ
فَأَشْرَقْتُ، حَتَّى جِئْتُ أُخْرَى الْمَغَارِبِ
وَجَوْهَ الْمَنَايَا، فِي قِنَاعِ الْغِيَاهِبِ
وَلَا دَارَ إِلَّا فِي قُتُودِ الرِّكَائِبِ
تُغُورَ الْأَمَانِي فِي وَجْهِ الْمَطَالِبِ
تَكشِفَ عَن وَعْدٍ مِنَ الظَّنِّ كَاذِبِ
لِأَعْتَنِقَ الْأَمَالَ بِيضَ تَرَائِبِ
تَطَّلَعَ وَضَّاحَ الْمَضَاحِكِ قَاطِبِ
تَأَمَّلَ عَن نَجْمٍ، تَوَقَّدَ، ثَاقِبِ
يُطَاوِلُ أَعْنَانَ السَّمَاءِ بِغَارِبِ
وَيَزْحَمُ، لَيْلًا، شُهْبَةً بِالمَنَاكِبِ
طِوَالَ اللَّيَالِي، مُفَكَّرٌ فِي الْعَوَاقِبِ
لَهَا، مِنْ وَمِيضِ الْبَرَقِ، حُمُرُ ذَوَائِبِ
فَحَدَّثَنِي لَيْلُ السُّرَى بِالعَجَائِبِ

وَقَالَ أَلَا كَمْ كُنْتُ مَلْجَأَ قَاتِلٍ
وَكَمْ مَرَّ بِي مِنْ مُدْلِجٍ وَمُؤَوِّبٍ
وَلَا طَمَّ، مِنْ نُكْبِ الرِّيَاحِ، مَعَاطِفِي،
فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ طَوَّتَهُمْ يَدُ الرَّدَى
فَمَا خَفَقُ أَيُّكِي غَيْرَ رَجْفَةٍ أَضْلَعُ،
وَمَا غَيَّضَ السُّلْوَانَ دَمْعِي، وَإِنَّمَا
فَحَتَّى مَتَى أَبْقَى، وَيَظْعَنُ صَاحِبٌ،
وَحَتَّى مَتَى أَرعى الكَوَاكِبَ سَاهِرًا،
فَرُحْمَاكَ يَا مَوْلَايَ، دِعْوَةَ ضَارِعٍ،
فَأَسْمَعْنِي، مِنْ وَعَظِهِ، كُلِّ عِبْرَةٍ،
فَسَلِّ بِمَا أَبْكِي، وَسَرِّ بِمَا شَجَا،
وَقُلْتُ، وَقَدْ نَكَّبْتُ عَنْهُ لُطِيَّةً :

وَمَوْطِنَ أُوَاهٍ، تَبَبَّلًا، تَائِبٍ
وَقَالَ بَظَلِّي مِنْ مَطِيٍّ وَرَاكِبٍ
وَزَا حَمَّ، مِنْ خُضْرِ الْبِحَارِ، غَوَارِبِي
وَطَارَتْ بِهِمْ رِيحُ النُّوَى وَالنَّوَابِ
وَلَا نَوْحُ وَرُقِي غَيْرَ صَرَخَةٍ نَادِبٍ
نَزَفْتُ دُمُوعِي فِي فِرَاقِ الصَّوَابِ
أُودِّعُ مِنْهُ رَا حِلًّا غَيْرَ آيِبٍ؟
فَمِنْ طَالِعٍ، أُخْرَى اللَّيَالِي، وَغَارِبٍ؟
يَمُدُّ إِلَيَّ نِعْمَاكَ رَا حَةً رَا غِبَّ !
يُنْتَرِجُمَهَا عَنْهُ لِسَانُ التَّجَارِبِ
وَكَانَ عَلَى عَهْدِ السُّرَى، خَيْرَ صَاحِبِ
سَلَامٍ، فَإِنَّا مِنْ مُقِيمٍ وَذَاهِبِ